

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم الجليل شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي قدس الله روحه ونور ضريحه وأثابه الجنة برحمته:

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، حمداً يفضل على كل حمد كفضل الله على خلقه.

وفي بعض النسخ المطبوعة لفضل الله على خلقه وهذا خطأ مطبعي والصواب كفضل الله. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة قائم لله بحقه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله غير مرتاب في صدقه صلى الله عليه وسلم. وعلى آله وصحبه ما جاد سحاب بودقه وما رعد بعد برقه. أما بعد: فهذا كتاب أحكام في الفقه اختصرته حسب الإمكان واقتصرت فيه على قول واحد؛ ليكون عمدة لقارئه ولا يلتبس عليه الصواب باختلاف الوجوه والروايات.

سألني بعض إخواني تلخيصه؛ ليقرب على المتعلمين، ويسهل حفظه على الطالبين فأجبتهم إلى ذلك معتمداً على الله سبحانه في إخلاص القصد لوجهه الكريم والمعونة على الوصول إلى رضوانه العظيم. وهو حسبنا ونعم الوكيل وأودعته أحاديث صحيحة تبركاً بها واعتماداً عليها وجعلتها من الصحاح لأستغني عن نسبتها إليها.

انتهت مقدمة المؤلف رحمه الله وهنا مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه: فهو كما جاء في دياجة المقدمة الإمام العالم الجليل شيخ الإسلام قدوة الأنام موفق الدين، فموفق الدين هذا لقبه، ويختصر أحياناً فيقال له موفق وكنيته أبو محمد، أما اسمه فهو عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي العمري يقال له المقدسي نسبة إلى بيت المقدس إذ المقادسة جماعة من

الحنابلة معروفون مشهورون منهم الإمام الموفق صاحب هذا الكتاب، ومنهم أبو عمر أخو المؤلف ومنهم جماعة كبيرة يفوقون المعروفين بهذا اللقب الشهير ويقال له الجُماعيلي بضم الجيم وفتح الميم المشددة نسبة إلى قرية يقال لها جُماعيل وهي في فلسطين من أعمال نابلس ويقال له أيضاً الحنبلي لأنه كان من الحنابلة وأبوه وجده كذلك، ويقال له العُمري؛ لأنه من سلالة سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم-، فهو من سلالة المهاجرين ومن المناسب ذكره أن شارح العمدة رحمه الله البهاء المقدسي من سلالة الأنصار.

مولده ونشأته

ولد الإمام المقدسي ببلدة جُماعيل من أعمال نابلس في فلسطين سنة ٥٤١ ثم غادرت أسرته بلاد فلسطين وعمره عشر سنوات بسبب سيطرة الصليبيين عليها فذهبوا إلى دمشق واستقروا بها، وطلب الإمام المقدسي العلم بدمشق على شيوخ عصره من الحنابلة وغيرهم.

شيوخه ورحلاته

ثم غادر هو وابن خالته عبدالغني المقدسي دمشق إلى بغداد، وفي ذلك الوقت كان يوجد في بغداد تاج الحنابلة في زمانه وإمام من أئمتهم هو الشيخ عبد القادر الجيلاني -رحمه الله-، وقد ذهب الموفق والحافظ عبد الغني إلى بغداد قبل وفاة الشيخ عبد القادر بنحو أربعين يوماً وجلسوا عنده هذه المدة وقرؤوا عليه بعض المتون في فقه الحنابلة ثم توفي الشيخ عبد القادر فانتقلوا إلى علماء آخرين، ويقول بعض من ترجموا للشيخ الموفق: إنه جلس بمعية عبد الغني في بغداد نحواً من أربع سنوات ثم غادرها إلى دمشق مرةً أخرى وكانت هذه رحلته الثانية إذ إن رحلته الأولى كانت من فلسطين إلى دمشق، أما الرحلة الثانية فكانت من دمشق إلى بغداد، أما رحلته الثالثة فكانت إلى الحج حيث حج والتقى ببعض الشيوخ في الحج، أما

رحلته الرابعة فكانت عودته إلى بغداد حيث عاد إليها مرة أخرى، وأفاد منها والتقى ببعض الشيوخ ثم رجع إلى دمشق وقد لقي الأعلام فى عصره من شيوخ الحنابلة وغيرهم. أخلاقه وأقوال العلماء فيه

أما فيما يتعلق بإمامته فى الدين فقد ذكر عنه مترجموه أوصافاً عظيمة فمن ذلك ما قاله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: (ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق (يعنى الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى، وقال بعضهم: لورأيت الموفق فكأنما رأيت رجلاً من الصحابة ذلك أنه كان بهى الطلعة حسن الصورة على وجهه نور الإيمان والعبادة والتقوى.

صفاته

ومن الأوصاف الجليلة لهذا الإمام أنه جمع علوماً شتى، فكان إماماً فى الفقه، إماماً فى الفرائض، إماماً فى اللغة، إماماً فى الحديث، إماماً فى الجدل.. إلى غير ذلك من العلوم وهذا ظاهر جداً فى كتابه العظيم (المغنى) الذى شرح فيه مختصر الخرقى فى فقه الحنابلة فإن له اختيارات فى هذا الكتاب عظيمة تدل على سعة علمه وقد جمعها بعض المعاصرين وهو الشيخ الدكتور على بن سعيد الغامدى فى كتاب مطبوع.

ومن صفاته أنه كان عظيم الخلق، كريماً مع الطلاب يذهب من الحلقة مع الفقراء والمحتاجين منهم فيكرمهم، ويضيفهم، ويغديهم، ويعشيهم، ومن جانب آخر فإن الرجل كان حليماً صبوراً لا يعجل ولا يغضب ولا يثور حتى قالوا: إنه كان يعقد مجلساً للمناظرة كل يوم الجمعة وكان لا يغضب أبداً أثناء المناظرة، ولا يرتفع صوته بل لا يزيد على التبسم حتى قال بعض مترجميه: إن هذا الرجل يقتل خصومه بتبسمه، فهم يغضبون ويرفعون أصواتهم ويجلبون أما هو - رحمه الله - فكان لا يخرج النقاش والجدل عن طوره ولا يتعدى أن يتبسم لخصمه إذ إن الغلبة فى المناظرة بالحجة، وليست برفع الصوت، ولا بالانفعال، ولا بالغضب بل إن الإنسان أحياناً ربما يستر عجزه عن إيراد الحجة، وعن الدليل، والبرهان بالغضب والانفعال

والهجوم على خصمه فكان رحمه الله حليماً، واسع الصدر لا يغضب على خصمه ولا يعاجله.

ومن صفاته - رحمه الله - أنه كان كثير التبعء يظهر عليه سيما الخشوع والإخبات لله جل وعلا حتى قال فيه الإمام ابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد: إن الإنسان ينتفع برؤيته قبل كلامه أهـ

وما ذلك إلا لكثرة عبادته وحسن خلقه ودأبه وقربه من الله - جل وعز - وذكر عنه سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان من التبعء وحسن الخلق والزهد والورع ما لم يكن لغيره من علماء عصره.

مؤلفاته

للشيخ مؤلفات كثيرة جداً أشهرها على الإطلاق (المغنى) وقد شرح فيه مختصر الخرقى من علماء القرن الرابع توفى سنة ٣٣٤ ومختصره ربما أنه أقدم مختصرات الحنابلة وهو إن لم يكن أشهرها فهو من أشهرها وقد توفر لشرحه هذا الإمام الجليل فشرحه فى كتاب عظيم هو كتاب المغنى وهو مطبوع فى خمسة عشر مجلداً أو أقل من ذلك بحسب اختلاف الطبعات وقد توسع فيه المؤلف - رحمه الله - فشرح فيه عبارة المصنف - الخرقى - وذكر الأقوال والوجوه والروايات والمذاهب بأوسع تفصيل وأبسطه وأوضحه مع ذكر الأدلة النقلية والعقلية واختيار القول الراجح حتى قال الإمام عز الدين بن عبد السلام الفقيه الشافعى المعروف: مارأيت فى كتب الإسلام مثل المحلى لابن حزم وكتاب المغنى لابن قدامة فى جودتهما وتحقيق مافيهما) وقال: (لم تطب نفسى بالإفتاء حتى صار عندي نسخة من المغنى) فهذا يدل على عظم كتاب المغنى وجلالة قدره وسمو شأنه وهو أعظم مؤلفاته. ومنها هذا الكتاب الذى بين أيدينا وهو (العمدة) فى الفقه الحنبلى وإذا كان المغنى للمنتهين فإن العمدة للمبتدئين، وقد ألف بينهما كتباً أخرى، فبعد العمدة فى الفقه الحنبلى يأتي كتاب (المقنع)

وهو أوسع قليلاً من العمدة ثم ارتقى بعد ذلك للمتوسطين فألف كتاباً شهيراً سماه (الكافي) وهو مطبوع أيضاً في أربعة مجلدات، إذ هو أوسع في إيراد الأقوال وذكر الأدلة من كتاب العمدة.

فالمصنف ألف للمبتدئين وللمتوسطين وللمنتهين في الفقه الحنبلي.

ومن كتبه في العقيدة كتاب (ذم التأويل) وهو مطبوع ومنها كتاب (لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد) ومن كتبه في أصول الفقه (روضة الناظر وجنة المناظر) وهو من الكتب الشهيرة في أصول الفقه على طريقة الحنابلة ولا شك أن المؤلف استفاد في كتاب الروضة ممن سبقه بل اختصر جهدهم وعملهم ككتب الإمام أبي حامد الغزالي وغيره، فقد اختصرها في روضة الناظر إذ إن الحنابلة في أصول الفقه استفادوا من الشافعية، وإن كان لهم أصولهم المستقلة، ومن كتبه في الأنساب (التبيين في أنساب القرشيين) وكتاب (الاستبصار في أنساب الأنصار) إلى كتب أخرى كثيرة وشهيرة وغالبها مطبوع.

وفاته

توفي رحمه الله سنة ٦٢٠ ودفن في دمشق في سفح قاسيون وقد حضر جنازته خلق لا يحصون كثرة.

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه فأهلها هنا بدل للفظ الجلالة لهذا فهي مجرورة حمداً يفضل كل حمد كفضل الله على خلقه أي أنه يحمد الله -تعالى- أتم الحمد وأعظمه وأوفاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة قائم لله بحقه هذا يحمل والله أعلم على أن مقصود المؤلف التشبيه أي أشهد كشهادة قائم لله بحقه، وحذف حرف التشبيه كثير في اللغة، وهو وارد في الكتاب والسنة وأمثله ونماذجه معروفة وليس المقصود أن يصف المؤلف نفسه أنه قائم لله بحقه إذ ليس من عادته ولا من

عادات علماء السلف أن يمدحوا أنفسهم بهذا، وإنما المقصود أشهد شهادة تامة كما يشهد له بذلك كل من عرف الله وآمن به ووحدته.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله غير مرتاب في صدقه صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ما جاد سحاب بودقه.

الودق هو المطر والغيث كما قال الله -تعالى-: " فترى الودق يخرج من خلاله " [النور: ٤٣] قال عامرين جوين الطائي:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

وما رعد بعد برقه.

الرعد الصوت يسمع من السحاب والبرق الذي يلمع في الغيم.

أما بعد وهذه الكلمة تقال للفصل بين الديباجة والمقدمة.

فهذا كتاب في الفقه اختصرته حسب الإمكان هاهنا شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان ميزة الكتاب والغرض من تأليفه وطريقته فيه فبين أن موضوع الكتاب هو الفقه فهو ليس كتاباً في العقيدة ولا كتاباً في الأصول ولا كتاباً في الجدل، وإنما هو كتاب في الفقه اختصرته حسب الإمكان فهو ليس من الكتب المطولة ولا المفصلة وإنما هو كتاب مختصر.

واقترنت فيه على قول واحد فلم يذكر فيه الأقوال ولا الروايات ولا الوجوه في

مذهب الحنابلة وإنما ذكر فيه قولاً واحداً هو القول المختار عند الحنابلة في الغالب. **ليكون**

عمدة لقارئه وهذا إشارة إلى اسم الكتاب فإن المؤلف -رحمه الله تعالى- لم يصرح باسم

الكتاب ولكن كل من ذكر الكتاب سماه (العمدة) أو (عمدة الفقه) ومن هؤلاء شيخ

الإسلام ابن تيمية والبهاء المقدسي وهكذا الذين ترجموا للمصنف ذكروا أنه ألف كتاب

العمدة في الفقه اعتماداً على هذه الكلمة، وإن لم يكن نصّ صراحة على اسم الكتاب وهو

كما قال فإنه عمدة في الفقه ومرجع للحفاظ.

ولا يلتبس عليه الصواب باختلاف الوجوه والروايات أى أنه أشار إلى أن المبتدئ قد يلتبس عليه الأمر بكثرة إيرادات الوجوه والأقوال، ويختلط بعضها ببعض فاقصر على قول واحد ليسهل حفظه وفهمه والانطلاق منه للمبتدئ.

سألنى بعض إخوانى تلخيصه ليقرّب على المتعلمين ويسهل حفظه على الطالبين فأجبتة إلى ذلك معتمداً على الله سبحانه فى إخلص القصد لوجهه الكريم والمعونة على الوصول إلى رضوانه العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتاب العمدة من كتب الحنابلة وهو من كتب الفقه المختصرة فإنه شامل لكل أبواب الفقه على الإجمال يبدوه كالعادة بكتاب الطهارة ويختمه بكتاب الشهادات هذا من حيث الموضوعات، وأما التقسيم ففي كل كتاب مجموعة من الفصول الصغيرة والأبواب التى تشمل جزئيات داخل الكتاب ثم إن المصنف اقتصر على قول واحد هو الراجح والمعتمد عنده ولم يطل الكتاب بذكر الأدلة بل كان يقتصر فى الباب على دليل واحد يذكره.

وقد حظى هذا الكتاب بعناية العلماء والفقهاء منذ ألفه المؤلف، ويكفى فى فضل هذا الكتاب أنه شرحه عدد من الأئمة ومن أعظم من شرح الكتاب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - عليه رحمة الله تعالى - فى كتاب عظيم نفيس فى بابه شرح فيه لفظ المؤلف فيذكر متن المؤلف ثم يشرحه ثم يفصل فيه ويورد الأقوال داخل المذهب ويورد الأدلة ويرجح ويذكر الدقائق الفقهية ثم ينتقل من المسألة إلى المسألة التى تليها ولا يترك مسألة من المسائل فى الباب إلا أوردتها فإن كان المؤلف لم يذكرها فى المتن فإنه يوردها ويذكر الأقوال فيها والروايات والراجح والمرجوح، وقد وصل فيه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى آخر كتاب الحج أى أنه قد شرح القسم المتعلق بالعبادات كما يسمونه، وليس كل الكتاب موجوداً، وقد طبع أجزاء منه ككتاب الحج فى مجلدين وكذلك حقق أجزاء منه على شكل رسائل ماجستير، ودكتوراه فى الجامعة الإسلامية وفى جامعة

الإمام محمد بن سعود بالرياض وممن شرحه أيضاً البهاء المقدسي في كتاب العدة شرح العمدة وهو مطبوع في مجلد واحد ومتداول، وكتاب البهاء المقدسي سهل ينبغي للطلاب أن يقتنوه؛ لأنه اقتصر فيه على شرح مراد المؤلف وذكر دليله وما لا بد منه فهو من الشروح المختصرة المفيدة النافعة، كما شرح العمدة جماعة من المتأخرين كالشيخ ابن بسام والشيخ محمد الحركان - رحمه الله - شرح الكتاب وإن كان شرحه مختصراً ولم يصل فيه إلى نهاية الكتاب وأظنه وقف فيه على كتاب الأيمان والندور ولم يتم له إنجاز بقية الشرح، هذا ما يتعلق بكتاب العمدة وطريقته وشروحه.

وأودعته أحاديث صحيحة تبركاً بها، واعتماداً عليها أي أن المؤلف أودع كتابه بعض الأحاديث الصحيحة في كل باب حديثاً في الغالب وقد يكون أكثر من ذلك وقد لا يوجد في بعض الأبواب أحاديث وإنما ذلك بحسب الإمكان وبحسب ما يتيسر للمؤلف - رحمه الله تعالى - وقد وفى المؤلف بما شرط غالباً فلم يورد في كتابه إلا أحاديث صحيحة قد تكون من الصحيحين، وقد تكون من غيرهما على ما سوف نتكلم عنه تفصيلاً في مواضعه إن شاء الله تعالى... ومقصود المؤلف من إيراد هذه الأحاديث فيه نظر فإن الأحاديث لا تورد للتبرك، وإنما تورد للاستدلال بها وبيان القول الراجح من المرجوح فإن العلماء والفقهاء إذا اختلفوا على أقوال فالمرجع في اختيار أصحابها إلى كتاب الله - تعالى - وإلى سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإلى ما أجمع عليه أهل العلم كما قال الله - تعالى -: "فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً" [النساء: ٥٩]

ففي هذه الآية بيان ما يجب الرجوع إليه، أولاً: الإجماع فإنه ظاهر في قوله - تعالى -: "فإن تنازعتم" إذا لم تتنازع فمعنى ذلك أننا أجمعنا على قول ولا حاجة حينئذ إلى أن نقول: المرجع إلى كذا أو كذا لأن الإجماع حجة بذاته والأمة لا تجمع على ضلالة والمقصود

الإجماع الحقيقى وليس الإجماع المدعى فإن بعض الناس إذا قال قولاً سهلاً عليه نقل الإجماع فيه ولو كان الخلاف فيه شهيراً وقد نقل جماعة من أهل العلم إجماع الأمة كالإمام ابن عبد البر فى كتابه (التمهيد) وغيره والإمام ابن المنذر فى كتابه (الإجماع) وفى (الأوسط) وكذلك فى كتابه (الإشراف) وفى غيرها وكذلك المؤلف فإنه فى كتاب (المغنى) ينقل الإجماع وأحياناً يقول: لا أعلم فيه خلافاً وأحياناً يقول: أجمع أهل العلم وهو من المراجع المعتمدة فى معرفة الخلاف والاتفاق وكذلك الإمام النووي كثيراً ما ينقل الإجماع فى شرح مسلم أو فى شرح المذهب أو غيرهما أو يتسامح فى ذلك إذاً الإجماع القطعى الثابت حجة قائمة بذاته ولا يحل لأحد أن يخرق إجماع الأمة القطعى المتوارث فهذا هو الأصل الذى يمكن به معرفة الحق.

الأصل الثانى: القرآن وهو الظاهر فى قوله -تعالى-: "فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول" [النساء: ٥٩] فالرد إلى الله -تعالى- رد إلى القرآن الكريم فهو كتاب الله المبين وحبلى المتين وحجته على خلقه وفى القرآن الكريم القول الفصل فى مسائل التنازع والإختلاف فىجب الرجوع والرد إليه.

الأصل الثالث: السنة وهو ظاهر فى قوله -تعالى-: "فردوه إلى الله والرسول" [النساء: ٥٩] فالرد إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو الرد إليه فى حال حياته والرد إلى سنته الصحيحة بعد وفاته وهذا يدل على أهمية معرفة السنة وحفظها ودراستها ومعرفة صحيح الحديث من ضعيفه وسليمه من سقيمه، فالفقه لا يستغنى عن الحديث لأنه يحتوى ويشتمل على الأدلة التى يعرف بها الراجح من المرجوح ولذلك كان ذكر الأدلة من الأحاديث والآيات ضمن الفقه وليس للتبرك - كما ذكر المصنف - وإنما للاعتماد عليها فى معرفة سبب الترجيح وفى معرفة القول الراجح من الأقوال المختلفة ليعبد الإنسان ربه على بصيرة وأقل ما يجب على طالب الفقه المبتدئ أن يحفظ القول الراجح ويحفظ دليله إذ لا يكفى أن تقول: الراجح كذا فإذا قيل لك: لماذا؟ قلت: لأن فلاناً رجحه!

وجعلتها من الصحاح لأستغنى عن نسبتها إليها. الصحاح جمع صحيح وقد يحتمل أن يكون مقصود المؤلف -رحمه الله- الأحاديث التي صحت عنده، هذا احتمال والاحتمال الثاني أن يكون المقصود أنه اختارها من الكتب الصحيحة كصحيح البخاري وصحيح مسلم أو صحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان أو ما أشبهها من الكتب التي وسمها مؤلفوها بالصحة فإنها تجمع أيضاً على صحاح، وهذه الكتب الصحاح على قسمين: القسم الأول: كتب سماها مؤلفوها بالصحاح واشترطوا الصحة ووفوا بما شرطوا وهما البخاري، ومسلم.

القسم الثاني: كتب سماها مؤلفوها بالصحاح واشترطوا الصحة ولكن ثمت أحاديث لم تكن على شرطهم أو دعوها كتبهم وهذا كما فى صحيح ابن خزيمة -رحمه الله- وإن كان كتابه صحيحاً وسمى بالصحيح، واشتهر بذلك إلا أنه أورد فيه أحاديث ليست على شرطه بل هي أحاديث يشك هو فى صحتها ويقول: "إن صح الخبر" مما يدل على أن المؤلف لا يجزم بصحته ومثل ذلك أيضاً صحيح ابن حبان فإن فيه أحاديث كثيرة ليست بصحيحة ومثل ذلك مستدرك الحاكم على الصحيحين فإنه بمقتضى شرطه لا بد أن يكون كل ما فيه صحيحاً، والواقع أن فيه الصحيح والحسن والضعيف بل والموضوع، وقد قسم الإمام ابن حجر مستدرك الحاكم إلى أقسام وفصله تفصيلاً وبين ما فيه أتم بيان فى كتابه المعروف فى المصطلح (النكت على ابن الصلاح) وهو عبارة عن تعليقات متفرقة للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى على مقدمة ابن الصلاح فى علم مصطلح الحديث... هذه هي أهم المطالب المتعلقة بمقدمة المؤلف -رحمه الله تعالى-.